دبلوماسية خطوط الغاز: كيف أصبح الغاز ورقة مساومة جيوستراتيجية في أزمة الطاقة

المصدر: الـ إندبندنت
بقلم: أحمد أبو دوح
ترجمة: عبد الحميد فحام

جسور للدراسات
JUSOOR FOR STUDIES

مترجمات جسور
تشرين الأول/ أكتوبر 2021

جسور للدراسات
JUSOOR for STUDIES

مؤسسة مستقلة متخصصة في إدارة المعلومات وإعداد الدراسات والأبحاث المتعلّقة بالشأن السياسي والاجتماعي والاقتصادي والقانوني في منطقة الشرق الأوسط والشأن السوري بشكل خاص، لمد جسور نحو المسؤولين وصناع القرار في كافة تخصّصات الدولة وقطاعات التنمية لمساعدتهم في اتخاذ القرارات المتوازنة المتعلّقة بقضايا المنطقة من خلال تزويدهم بالمعطيات والتقارير المهنيّة الواقعية الدقيقة.

جميع حقوق الطبع والنشر والنسخ محفوظة لمركز جسور للدراسات – 2021
www.jusoor.co

دبلوماسية خطوط الغاز: كيف أصبح الغاز ورقة مساومة جيوستراتيجية في أزمة الطاقة

المصدر: "إندبندنت"

بقلم: أحمد أبو دوح

ترجمة: عبد الحميد فحام

الناس الذين يعيشون في بيروت أو باريس أو لندن يتشاركون نفس التخوّف من برد الشتاء القادم؛ لأن الغاز الذي يستخدمونه للتدفئة أو الإضاءة في منازلهم إما مفقود أو باهظ الثمن.

ويُفَسّر العديد من السائقين أزمة الطاقة التي قد يكون أحد أسبابها هو ارتفاع الطلب مقابل انخفاض العرض بسبب التعافي الاقتصادي الذي جاء في وقت أقرب من المُتوقع من تداعيات "كوفيد-19" (كورونا) والتوجّه الجديد المدعوم من الحكومة الصينية إلى مكافحة تغيُّر المناخ هو سبب آخر. وبالطبع، هنالك سبب جوهري آخر وهو عقود من الفساد السياسي وعدم الكفاءة، كما ظهر في كارثة لبنان.

وهناك شيء واحد يُركّز عليه الأوروبيون واللبنانيون على حَدٍّ سواء على أمل الخروج من هذه الأزمة: دبلوماسية خطوط أنابيب الغاز. فيقول المحللون: إن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يرى الفرصة سانحة لاستغلال التفاوت بين العرض والطلب وعدم القدرة على التنبؤ الجيوسياسي.

ولقد أوضحت الأزمة، من الناحية العملية، كيف يمكن نشر الغاز الطبيعي كسلاح جيوسياسي، لكن ذلك له خصوصية فريدة بأن يكون غيرَ فعّال، ورديئاً، وخَطِراً يمكن أن يأتي بنتائج عكسية.

وقد قال البروفيسور أندرياس جولدثاو، مدير فرانز هانيل للسياسة العامة بجامعة إرفورت: "الغاز كسلاح جيوسياسي يعمل فقط في علاقة تجارية غير متكافئة بشكل كبير، حيث يكون واضحاً أن أحد الطرفين يملك اليد العُليا ويمكن القول إن هذا لم يكن هو الحال أبداً في علاقات

الغاز بين الاتحاد الأوروبي وروسيا. فأوروبا زبون رئيسي، ولم يكن لدى روسيا العديد من الخيارات للتصدير إلى أي مكان آخر".

وفي حين أن عقبات الجغرافيا السياسية لم تكن في الأصل شرارة لعاصفة الطاقة، إلّا أن الحل الدبلوماسي المُؤقّت قد يوفّر ملاذاً من العواقب الوخيمة للموضع الجيوسياسي للبلدان.

وخلال نزاع التسعير عام 2009 مع أوكرانيا، قطعت شركة الغاز الروسية العملاقة غازبروم جميع الإمدادات عن أوروبا، مما أضرّ دول القارّة الجنوبية الشرقية وأجزاء أخرى من الاتحاد الأوروبي. وفي أعقاب أزمة 2014 المُتعلّقة بضمّ شِبه جزيرة القرم، أوقفت روسيا جريان الغاز مرة أخرى واتهمت أوكرانيا بالتقاعس عن سداد ديونها لشركة غازبروم.

ويؤكد جولدثاو أن: "روسيا لديها تاريخ في استخدام إمدادات الطاقة والتسعير كوسيلة لشراء الأصدقاء ولعب لعبة "فَرِّق تَسُد" مع العملاء المُجَزّئين في الاتحاد الأوروبي." وأوضح جولدثاو أنه الآن بعد أن تم وضع نظام قوي ومشترك لسياسة الطاقة الأوروبية، فقد أصبح من الصعب للغاية على روسيا استخدام هذا الأسلوب.

وقالت ماريا باستوخوفا، كبيرة مستشاري السياسة في E3G، وهي مؤسسة فكرية مُستقلّة لتغَيُّر المناخ: "إذا كانت روسيا تستخدم صادراتها من الغاز كسلاح سياسي، فهذا ليس فعّالاً بشكل كبير".

ففي عام 2007، اقترح الاتحاد الأوروبي الحزمة الثالثة من حزم إصلاح سوق الطاقة، والتي تهدف إلى تحسين أداء سوق الطاقة الداخلية للاتحاد الأوروبي. السياسة، التي دخلت حيّز التنفيذ في عام 2009، وهو نفس العام الذي تشددت فيه موسكو في تحكُّمها بسوق الطاقة، استهدفت تلك السياسة تكامل سوق الطاقة في الاتحاد الأوروبي لتعزيز المنافسة.

ومنذ ذلك الحين، جعلت التوترات بشأن الغاز الروسي أي حديث عن حلحلة الخلافات بين الجانبين غير وارد.

"وقد تفاقم التباعد بين روسيا والاتحاد الأوروبي، حيث قدّم الاتحاد الأوروبي تدابير إضافية لتشديد لوائح وقوانين سوق الغاز، واعتماد رؤية الصفقة الخضراء التي من شأنها أن تُقلّل بشكل فعّال واردات الغاز بنسبة 40 في المائة على مدى السنوات العشر المُقبلة وأكثر من 90 في المائة بحلول عام 2050".

لكن هذا سيحتاج إلى بعض الوقت للحصول على نتائج فعلية. فالآن لا تزال أوروبا تستورد 90 في المائة من غازها. وتقوم روسيا بتزويدها بحوالي 40 في المائة من إجمالي إمداداتها.

وفي الوقت نفسه، في المملكة المتحدة، حيث انهار العديد من شركات الطاقة نتيجة لارتفاع الأسعار، يتم تدفئة 80 في المائة من المنازل باستخدام الغاز. ووفقاً لوكالة "رويترز"، فإن سعة التخزين في المملكة المتحدة تعادل حالياً حوالَيْ أربعة إلى خمسة أيام من الطلب على الغاز في فصل الشتاء، منخفضة عن الفترة السابقة والتي كانت 15 يوماً من الطلب.

وفي الأسبوع الماضي، أعلن بوتين أن موسكو مستعدة لزيادة إمداداتها إلى أوروبا وتعويض الأزمة. لكن قرار غازبروم ضخ الغاز في الخزانات الاحتياطية الوطنية لروسيا ربما يكون قد أظهر شعوراً بأن بوتين يقوم بالتلاعب بمشاعر القادة الأوروبيين.

وقالت كاتيا يافيمافا، وهي باحثة بارزة في معهد "أكسفورد" لدراسات الطاقة: "بينما صرّحت شركة غازبروم مراراً وتكراراً -في شهرَيْ أيار/ مايو وآب/ أغسطس من عام 2021- أنها كانت بصدد تصدير 183 مليار متر مكعب من الغاز إلى أوروبا في عام 2021 وكانت ملتزمة بهذه التوقعات، يبدو أن أوروبا توقعت المزيد من روسيا وتفاجأت عندما قررت شركة غازبروم إعطاء الأولوية للاحتياطيات الوطنية الروسية بدلاً من التصدير إلى أوروبا".

ومع ذلك، يتهم النُقّادُ الكرملين بإبقاء الإمدادات عند مستويات مُنخفضة بشكل مُصطَنع لرفع أسعار الغاز والضغط على المسؤولين الأوروبيين والألمان لتشغيل خط أنابيب "نورد ستريم 2" المثير للجدل.

وقد صرّح المسؤولون الروس علناً أن "الانتهاء المُبَكِّر للمصادقة على «نورد ستريم 2» سيساعد في "تهدئة الوضع الحالي".

وقالت باستوكوفا لصحيفة الإندبندنت: "إن رسائل الكرملين بشأن ضرورة تسريع التصديق على خط أنابيب نورد ستريم 2 هي محاولة سيئة التخطيط إلى حد ما لاستخدام ارتفاع أسعار الغاز لصالح شركة غازبروم والكرملين".

ولاحظت أن ذلك "لا يغير الموقف العام للاتحاد الأوروبي تجاه روسيا (إذا حدث ذلك التغير فسيكون إلى الأسوأ) ولا يساعد في الحفاظ على صورة غازبروم كمُورِّد موثوق".

ويقول الخبراء: بالإضافة إلى الغاز الطبيعي المُسال في قطر، فإن البديل الأوروبي الآخر سيكون الاكتشافات الضخمة للغاز في شرق البحر المتوسط. لكن المنطقة، على الرغم من قُربها من القارة المحاصَرة، مليئة بالصراعات والمنافسة والخلافات التاريخية، وتضمّ دولاً مثل مصر وإسرائيل ولبنان وتركيا.

وفي العقد الماضي، خلقت المنافسة الجيوستراتيجية على اكتشافات الغاز نظاماً إقليمياً مبنياً على استجابة متبادلة قائمة على "المعاملة بالمثل" بين كل الأطراف، حيث تمكنت مصر من ترجمة إحباطاتها ضد الأعمال المثيرة لتركيا في ليبيا إلى تشكيل تحالفات لعرقلة عمليات التنقيب التركية عن الغاز في البحر الأبيض المتوسط.

هناك عقبات أخرى في طريقها إلى أن تصبح حلّاً قابلاً للتطبيق بالنسبة لاعتماد أوروبا المفرط على روسيا، وهي تكلفة الترابط باهظ الثمن، والمخاطر التقنية، والطلب المحلّي المرتفع.

وكان جولدثاو قد صرّح: "إن إمدادات غاز شرق البحر المتوسط ستستخدم بشكل أساسي الأسواق المحلّية في إسرائيل ومصر والمنطقة الأوسع. بالإضافة إلى ذلك، فإن تركيا لديها صبر في هذه اللعبة ومن المُحتمل أن تُعَرقل التطوير السريع لحقول الغاز في أراضي قبرص".

لكن إمدادات الغاز المُتنازَع عليها في شرق البحر المتوسط قد تكون شريان حياة للبنان، حيث تسببت أزمة الطاقة في انقطاع الكهرباء بالكامل وسط أزمة اقتصادية حادّة.

وقد جمعت أزمة الطاقة اللبنانية الخصوم القُدامى معاً بطريقة يمكن أن تخلق ديناميكيات إقليمية جديدة.

ففي هذا الشهر، أعلن مسؤولون في المنطقة أنهم انتهوا من خطة يمكن أن تمنح الأمل لملايين المواطنين اللبنانيين الذين يعانون من شدّة الأزمة.

وبحسب الخطة، التي تحظى بدعم أمريكي، سَتُزوِّد مصر محطّات توليد الكهرباء اللبنانية بالغاز عبر خط أنابيب يمرّ عَبْر الأردن وسورية. كما سَيُصَدِّر الأردن الكهرباء، التي يتم توليدها بشكل أساسي من الغاز المُستورد من إسرائيل.

لكن مشكلة لبنان تكمن في استخدامه لمحطات الكهرباء القديمة التي تعمل بالديزل، مما يُبرِز حاجته الكبيرة إلى وَقود النفط أكثر من الغاز الطبيعي.

وقال جيم كرين، مُحلِّل الطاقة في الشرق الأوسط في معهد "بيكر" بجامعة "رايس"، لصحيفة إندبندنت: "لا أحد يُخمّن ما إذا كان لبنان سيتخلّى عن توليد الطاقة بالديزل وينتقل إلى نظام أكثر حداثة. فسيكون الغاز تحسناً كبيراً؛ لأنه أنظف وأرخص بكثير".

ومنذ شهر أيلول/ سبتمبر، رست ناقلتا نفط إيرانيتان في ميناء بانياس السوري. وتم نقل الوقود بالشاحنات إلى حدود لبنان، في خطوة صوّرها حزب الله المدعوم من إيران على أنها انتصار كبير على العقوبات الأمريكية على صادرات النفط الإيرانية.

وتعتمد الولايات المتحدة على الخطة الجديدة لإحباط الهيمنة الإيرانية في لبنان وسورية وتقديم حلّ يُقرّه حلفاؤها العرب.

لكن الترتيب المُثير للجدل قد يشهد قيام إسرائيل عن طريق تزويدها الغاز للمحطات الأردنية والكهرباء الناتجة عنه بإضاءة مقرّ عدوّها اللدود حزب الله وتزويد دكتاتور سورية الدموي بشار الأسد بالخروج من العزلة الدولية.

ومع ذلك، فإن استخدام إمدادات الغاز "لتفكيك عقود من النفوذ الإيراني في المنطقة" قد يُثبت أن خطة إدارة بايدن وهمية.

قال ستيفن رايت، الأستاذ المساعد في جامعة حمد بن خليفة في قطر: "لن تضعف قبضة إيران وحزب الله بسبب الغاز، فهي أكثر رسوخاً وتعقيداً ولن تتلاشى في أي وقت قريب".

وعلى الرغم من موافقته السريعة المزعومة على الخطة، فإن طموحات الأسد في إعادة التأهيل من خلال منحه دوراً أكبر في حل أزمة لبنان قد تتعثر قريباً.

هذه الخطة لن تكون كافية لتخليص الأسد في نظر المجتمع الدولي. فبعد كل شيء، كانت سورية هي اللاعب الرئيسي في خلق حالة من عدم الاستقرار في لبنان في المقام الأول من خلال حزب الله، فهو وكيل سورية وإيران. وفي أحسن الأحوال، سنرى كيف سيتمّ استخدام البراغماتية مع سورية، لكن الخلاص ليس مطروحاً "، كما يؤكد "رايت".

مول اوف اسطنبول ـ مكاتب بلازا
طابق/2 ـ مكتب 3# ـ باشاك شهير
اسطنبول - تركيا

+ 90 555 056 06 66

/jusoorstudies
/jusoorstudies
/jusoorstudies

info@jusoor.co
www.jusoor.co